

سر المعمودية وموقف الإسلام منه بحث في مقارنة الأديان

م.م. أياد حامد محمود يوسف
قسم التربية الإسلامية / كلية التربية الأساسية / جامعة الموصل

المؤتمر العلمي السنوي الأول لكلية التربية الأساسية (23-24/أيار/2007)

ملخص البحث :

الحمد لله ثم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله واله وصحبه ومن والاه. القائل: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، قيل يا رسول الله، فمن هلك قبل ذلك؟ قال: الله أعلم بما كانوا عاملين به)⁽¹⁾ وفي رواية أخرى (يولد على الفطرة) أي الإسلام. قد يكون من القراء من لم تتح له الفرصة من قبل ليتعرف على الكتاب المقدس، أو بعض ما كتبه علماء المسيحية ولعلنا نوفق في عرض بعضها بالقدر الذي يسمح بتوضيح الحقيقة لفئات شتى من القراء، تختلف ثقافتهم كما تختلف حصيلتهم العلمية، فقد يكون فيهم العالم المدقق كما يكون منهم القارئ العادي، ومن أجل هذا بذلت جهدي المتواضع.

وقد اخترت هذا البحث الموسوم (سر المعمودية في العقيدة النصرانية وموقف الإسلام منه) وهو في مقارنة الأديان لكي أبين وجه العلاقة بين الشرعتين والوقوف على الاختلاف بينهما مع بيان وجه الحق وفقاً للأدلة والبراهين السماوية من آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة أو أي مسألة فيها وجه حق لا تتعارض مع ما نزل من رب السماوات والأرض الواحد الأحد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً فتبارك الله عما يصفون. ، لقد تناول القرآن الكريم موضوع العقيدة النصرانية وناقش متبعيها بالتالي هي أحسن وعلى المسلم أن ينتبه عند تحاوره مع أهل الكتاب أخذاً بنظر الاعتبار أمراً واحداً فقط هو دعوتهم إلى الحق الذي يتفق مع الواقع نقلاً وعقلاً وعسى أن يفوز بما بشر به نبي الرحمة سيدنا محمد ﷺ حيث قال: (لئن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من الدنيا وما فيها)⁽²⁾ وفي رواية أخرى (خير لك من حمر النعم) ولقد وجدت في نفسي أن أكتب هذا البحث محاولة لتوضيح حقيقة سر المعمودية في العقيدة النصرانية وموقف الإسلام

(1) صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل البخاري - تقديم الشيخ احمد محمد شاكر ، تقديم وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة دار ابن الهيثم - القاهرة - الطبعة الأولى، سنة ، 2004 ، كتاب (الجنائز) باب (إذا اسلم الصبي)، رقم الحديث (1270) الراوي أبي هريرة .

(2) صحيح مسلم - للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى سنة 2000 . كتاب (فضائل الصحابة) باب (فضائل الصحابة) رقم الحديث (2406) عن سهل بن سعد .

منه معتمدا على المصادر بعد القرآن الكريم على التفاسير في تفسير الآيات القرآنية الكريمة وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة وبعض المصادر والمراجع الإسلامية والمسيحية التي تتحدث عن الموضوع بصورة شرعية وعلمية .

وكان منهجي في البحث الآتي: سلكت المنهج العلمي الموضوعي فيما يخص موضوع البحث وقسمته إلى ثلاث مطالب.

المطلب الأول : (سر المعمودية وأسمائها ورتبتها) حيث قمت بتعريف كلمة السر لغة واصطلاحاً علماً أن كلمة السر تقترن مع جميع بقية الأسرار الأخرى مثل الميرون وسر القربان المقدس وغيره من الأسرار ، فهي سبع أسرار والمعمودية أحدها ، ثم تكلمت عن أسمائها وكذلك عن رتبتها بين بقية الأسرار السبعة .

المطلب الثاني : (تأسيس سر المعمودية وشروطها وأنواعها وصورها والخادم الذي يعمل عليها) قدمت في هذا المطلب متى تأسس هذا السر ومن هو المؤسس الأول له وما هي شروط هذا السر ، وما هي أنواعه وصوره ، كما أنني تكلمت عن الخادم الذي يقوم على هذا السر وهل من نواب عنه في حالة غيابه وعدم وجوده في منطقة ما ، وغيرها من الأمور المتعلقة بالموضوع .

المطلب الثالث: (موقف الإسلام من سر المعمودية) تكلمت في هذا المطلب عن وجه التباين بعد أن قدمت ما موجود عند الإسلام فيما يخص المعمودية وفي أكثر من جانب ، أي الجانب العقائدي ، والجانب الفقهي والصحي لوجود الارتباط الوثيق والعملي في هذا الجانب ، ضمن البحث العلمي الدقيق، سائلاً المولى (عز وجل) أن ينفع به من يطلع عليه ويقرأه ولا يسعني في المقام إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل لكليتكم الموقرة وهي تفسح المجال أمام الباحثين لطرح أبحاثهم وأفكارهم سعياً للتقدم العلمي الجاد والمفيد مع فائق شكري وتقديري ...

The baptism secrecy and is lam view to it

Aead Hamed Mahmmmod Yosef

Islamic Education Department / College of Basic Education /University of Mosul

Abstract:

The prophet thohammad said: every born is born accordiug to thehature his parents make him ajew achristian or polytheist they were asked : what about the one who died befor that only god knows what they

would have done with it he said anther version : he is born thuslim he said .

Perhaps some the readers do not take time so that know about the (Holy) Bible my research present this subject which contain three aspects.
First : Baptism secrecy its names and arrangements .
Second : Baptism secrecy kinds sever its who works in it .
Third : Islam view to Baptism secrecy researcher.

المقدمة :

الحمد لله ثم الحمد لله مسبح النعم، ومتمم الفضل محيي القلوب فطر الناس على الفطرة السليمة وهي الإسلام، والصلاة والسلام على أشرف خلقه وأنبيائه سيدنا محمد الحبيب المحبوب والمبعوث رحمة للعالمين ومنارا لطريق كل من يبحث عن الحقيقة، الصادق المصدوق القائل: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، قيل يا رسول الله، فمن هلك قبل ذلك؟ قال: الله أعلم بما كانوا عاملين به) ⁽¹⁾ وفي رواية أخرى (يولد على الفطرة) أي الإسلام. قد يكون من القراء من لم تتح له الفرصة من قبل ليتعرف على الكتاب المقدس، أو بعض ما كتبه علماء المسيحية ولعلنا نوفق في عرض بعضها بالقدر الذي يسمح بتوضيح الحقيقة لفئات شتى من القراء، تختلف ثقافتهم كما تختلف حصيلتهم العلمية، فقد يكون فيهم العالم المدقق كما يكون منهم القارئ العادي، ومن أجل هذا بذلت جهدي المتواضع وقد اخترت هذا البحث الرسالة الموسومة (سر المعمودية وموقف الإسلام منه) وهي في مقارنة الأديان لكي أبين وجه العلاقة بين الشرعتين والوقوف على الاختلاف بينهما مع بيان وجه الحق وفقا للأدلة والبراهين السماوية من آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة أو أي مسألة فيها وجه حق لا تتعارض مع ما نزل من رب السماوات والأرض الواحد الأحد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً فتبارك الله عما يصفون. ونعوذ به مما يشركون. أن دين الإسلام هو دين الحق والعقيدة النقية الصافية التي اختارها الباري عز وجل: قال تعالى (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (آل عمران 85). وبلغنا بها على لسان نبيه المصطفى خير الخلائق والبشر سيدنا وقائدنا وحبيبنا محمد ﷺ ولم يكن هذا البحث للنيل من دين النصرانية الحقبة التي جاء بها سيدنا عيسى (عليه السلام) عندما سأل الحواريين وأجابوه بقولهم: قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمْنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ) (الصف/14).

(1) صحيح البخاري - كتاب الجنائز - باب إذا أسلم الصبي رقم الحديث/1270 - الراوي عن أبي هريرة.

وقال تعالى (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (آل عمران / 19)، قال عليه الصلاة والسلام (بعثت بالحنيفية السمحة ليلها كنهارها) ⁽¹⁾، قال تعالى (أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) (آل عمران / 83)

وعلى المسلم أن ينتبه عند تحاوره مع أهل الكتاب أخذا بنظر الاعتبار أمرا واحدا فقط هو دعوتهم إلى الحق الذي يتفق مع الواقع عقلا ونقلا وعسى أن يفوز بما بشر به نبي الرحمة سيدنا محمد ﷺ حيث قال (لئن يهدي الله بك رجلا خيرا لك من الدنيا وما فيها) ⁽²⁾ وفي رواية أخرى (خير لك من حمر النعم) ويجب أن لا يفوتنا أن ننوه بأن سيدنا عيسى (عليه السلام) هو أحد أنبياء بني إسرائيل ولم يأت بدين جديد بل جاء مكملا ومصححا لما حرف من التوراة على يد الكتبة والفريسيين كما بين ذلك القرآن الكريم ففي سورة الأحقاف قالت الجن لقومهم عندما سمعوا القرآن: (قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ) (الأحقاف / 30)، لم يقولوا أنزل من بعد عيسى، لأن الكتاب الذي كان يتعبد به عيسى (عليه السلام) هو توراة موسى (عليه السلام) وكان يدعوا إلى تصحيح شريعة موسى كما قال عيسى (عليه السلام) متحدثا في أحد الأنجيل (ما جئت لآنقض الناموس) (متى 5/17) أي ناموس موسى (عليه السلام) وهي شريعته، وكل ما نجده اليوم لدى النصارى من طقوس وعبادة وكنيسة واتخاذ الصليب رمزا مقدسا لهم ما هو إلا من بولس ومن بعده الذي دخل على النصرانية الأولى الحققة على حين غفلة من رسل المسيح (عليه السلام) واوجد لهم هذه العقيدة التي جعلت عيسى (عليه السلام) إلها صلب ثم مات ثم رفع إلى السماء كإله يستحق العبودية، وقد خلط بولس هذا بين تعاليم اليهودية ديانتة السابقة التي عمل كل هذا من أجلها وبين الديانات الوثنية، للأمم التي اخذ يبشرها بالنصرانية التي صنعها.

لقد وجدت في نفسي أن أكتب هذا البحث محاولة لتوضيح حقيقة سر المعمودية وموقف الإسلام منه معتمدا بالمراجع بعد القرآن الكريم. وكان منهجي في البحث الآتي:

1. سلكت المنهج العلمي الموضوعي في تتبع الآيات التي تحدثت عن قصة سيدنا عيسى (عليه السلام) فيما يخص موضوع البحث.
2. اعتمدت التحليل والاستنباط لكشف الجوانب التي غيبت والتي تخص موضوع البحث.
3. زاوجت بين المراجع والمصادر مما اضطرني أن أقوم بالتمهيد حينا وبالتعليق حينا آخر.

(1) مسند الامام احمد - كتاب باقي مسند الانصار - باب الحديث ابي امامة ، رقم الحديث (21260) عن ابي امامة.

(2) صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة - باب فضائل الصحابة - رقم الحديث (2406) عن سهل بن سعد

4. ترجمت لكثير ممن ورد ذكرهم من العلماء والمفكرين وقمت بعزو الآيات القرآنية إلى سورها وذكر أرقامها ولم أضعها بالهامش وكذلك آيات الأنجيل والإصحاحات , كما قمت بتوضيح الكلمات الغامضة التي وردت خلال مطالب البحث. هذا وقد كانت خطتي في البحث على

النحو الآتي: قسمت البحث بعد هذه المقدمة والتمهيد الى ثلاث مطالب:

المطلب الأول: تكلمت على تأسيس سر المعمودية وشروطها وأنواعها.

المطلب الثاني: تكلمت على صورة سر المعمودية والخادم.

المطلب الثالث : موقف الإسلام من العمودية..

ثم ختمت رسالتي المتواضعة هذه بالنتائج التي توصلت إليها، وأسأله تعالى أن يجعل هذا الجهد البسيط في خدمة كل من يسعى وراء الحقيقة طالبا لها، وفي خدمة الإسلام والمسلمين، وليعلم الناس حقيقة هذه الأسرار وما فيها. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه الغر الميامين

تمهيد :

بما أن دراستنا تتعلق بسر المعمودية في العقيدة النصرانية وموقف الإسلام منها فلا بد أن نبدأ بكلمة السر ونعرفها ثم ندخل إلى هذه الأسرار وسبب التسمية ولماذا تكون هذه الأمور العقائدية سرية ولم تكن واضحة لجميع الناس هل لأنها خاصة بقوم دون العالمين أم لوجود أمر خفي ويريد معتققيها عدم إظهارها للناس كافة حتى لا تنتقد ويظهر خفاياها أم أنها ذات أسرار إلهية والمقصود منها السر الموجود بداخلها لمنفعة الناس بها .

تعريف السر :

لغة: ما يكتمه الإنسان في نفسه. ويقال (صدور الأحرار قبور الأسرار) وفي العرف المسيحي: إشارة أو علامة محسوسة رتبها السيد المسيح لأجل تقديس النفوس وتدل على النعمة غير المحسوسة⁽¹⁾ ونأخذ التعريف لاهوتيا (يمكننا تحديد السر في اللاهوت المسيحي بقولنا انه: عمل مقدس تمنح فيه للمؤمن، من خلال علامة منظورة نعمة الله غير المنظورة.

فغير المنظور وغير المدرك يستطيع الإنسان المؤمن الوصول إليه والاتحاد به من خلال

(1) المنجد في اللغة والادب والعلوم - لويس معلوف - الطبعة الثامنة عشر - المطبعة الكاثوليكية. بيروت سنة 1908 / ص : 328 / حرف السين.

علامة منظورة⁽¹⁾. نفهم من هذا الكلام أن السر هو علاقة لشيء محسوس يشير إلى شيء آخر كالدخان الذي يشير إلى اشتعال شيء ما وكالمعمودية التي هي أحد الأسرار السبعة (الميرون والقربان المقدس والزواج والتوبة والكنهوت ومسحة المرضى) والتي تدل بالظاهر على غسل خارجي بالماء مع تلاوة ألفاظ خاصة وهي بالتالي تشير إلى تخلص النفس من أوساخ الخطيئة. ونجد أيضا هذا الأمر من غسل الجنابة في الإسلام فلا يمكن أن تقام صلاة أو أن تتلى آية من آيات القرآن أو حتى مس للقرآن الكريم لا يجوز إلا بعد أن يقوم المسلم بأداء فريضة الغسل التي تخلصه من الجنابة بأداء خاص بالغسل وقد ورد عن النبي محمد ﷺ قوله: (تحت كل شعرة جنابة)⁽²⁾.

أي يجب بعد كل جنابة وحدث أكبر غسل كامل بأدائه الخاص به لكي يستطيع القيام بأداء العبادات فالأمر الحسي وهو الغسل جاء للأمر المعنوي الجنابة فالسر الموجود في هذه العبادة أمور كثيرة منها الحالة الصحية للإنسان وما يتعلق بهذا الأمر من تبعات أخرى، وللحديث عن معنى السر من وجهة نظر المسيحيين هناك عدة مجالات. (الأسرار : هي بمثابة ابواب السماء التي بها يدخل المسيح المؤمنين إلى ملكوته. أنها أبواب الفردوس، تلك التي اقفلت في وجه آدم وقد فتحها المسيح من جديد امامنا لتكون لنا الحياة)⁽³⁾.

العمق التاريخي للمعمودية:

وهذا السر يفى بحاجات المؤمن في كل ظرف من ظروف حياته اما عن عمقها التاريخي (فالبوذا) تعمد عن مولده والطقوس الاشورية والمصرية عرفت العماد وشعوب أخرى كانت تتبع نظام التطهير الطبيعي. الاتروسك كانوا يتطهرون بامطار شباط لكي يشتركوا في الحياة الجديدة التي ستهض مع الربيع. في البيرو كانوا يتطهرون في ايلول انسجاما مع الأرض التي كانت تغتسل بالندى. الهنود ينزلون في نهر الغانج وهم يرددون: (أيها الغانج طهرني) وفي الإسلام يكون التطهر بالماء، وعند تعذر وجوده بالرمل بأسلوب خاص. وفي كل بلد، كان الشعور بلطخة ادبية يتطلب طقوس تطهير في الماء نذهب إلى أبعد من ذلك عند المسيحيين.. (ليس الماء-الام كالرحم الشامل منه تخرج الحياة والاشكال والتاريخ؟ انه المناخ الجنيني للعالم، كما هو لكل جنين وفي نظر الكتاب المقدس. بنوع خاص، الماء هو المادة الأولى، عنصر

(1) اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر - الأب سليم بستر - طبعة ثانية / 1989 - منشورات المكتبة البولسية - بيروت لبنان ج/3 ص:27.

(2) سنن الترمذي - كتاب الطهارة عن رسول الله - باب ما جاء أن تحت كل شعرة جنابة - رقم 99 - عن أبي هريرة.

(3) الأسرار - مطرانية جبيل والبترون وما يليهما للروم الارثوذكس - منشورات مكتب التنشئة المسيحية والنشر، (جبل لبنان) برمانا - ص:3.

الخلق الاساسي في البلدان الشرقية، هو رمز الحياة المعبر اكثر مما هو عندنا ماء غني منه ينبثق كل خصب، مطر سخي، صورة مميزة لعطية الله الجانية.⁽¹⁾

المطلب الأول : سر المعمودية وأسمائها ورتبتها تعريف المعمودية :

المعمودية كلمة سريانية تعني الغوص والإغتسال وهي الانتساب إلى الله بترك الحياة الدنسة والشهوات الجسدية وكما أن العين الكليّة لاتقوى على الأحداق بأشعة الشمس الساطعة هكذا أيضا لايجوز إحراز هذا الإنتساب الإلهي ما لم يبتعد الإنسان عن الشهوات⁽²⁾ .

قال الرب (الذي عنده وصايا ويحفظها فهو الذي يحبني والذي يحبني يحبه ابي وأنا احبه واظهر له ذاتي)(يو 14: 21). وهناك امور تتعلق بسر المعمودية منها:

(1) اسماء سر المعمودية :

(للمعمودية اسماء تختلف بين كنيسة وأخرى وقد استتجت هذه الاسماء وفق المعتقدات أو المسميات للسر نفسه فهناك من يسميها (المعمودية) وهي الإغتسال فاما الغوص فالإختفاء في الماء وتغطيسه عند العماد والإغتسال لأنها تغسل الإنسان روحيا من خطايا جسدنا من أوساخه الطبيعية. وهناك اسماء أخرى للمعمودية منها:

- الإيمان : اي يجب أن يؤمن بسائر العقائد المسيحية كقول الرب (من امن واعتمد خلص) (مر 16: 16).

- الإستتارة : لأن المعمد يستضيء بنور الإيمان الذي يعترف به كقول الرسول (ولكن تذكروا الأيام السالفة التي فيها بعدما أنرتم صبرتم على مجاهدة الام كثيرة)(عب 10: 32).

- التطهير : (من العقائد النصرانية أن الإنسان فسدت طبيعته بخطيئة آدم وبالمعمودية يتطهر من هذه الخطيئة إلى خليقة جديدة وعبر عنها بولس (بالخميرة العتيقة) ويصح المؤمن بالخليقة الجديدة)(1 كو 7: 5).

- الميلاد الجديد : كل إنسان يولد من امرأة وهو ميلاده الأول اما الميلاد الثاني فهو بعد المعمودية كما جاء الكتاب (واما كل الذين قبلوه فاعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله)(يو: 12: ..)⁽³⁾.

(2) رتبة المعمودية بين الأسرار :

(1) الأسرار حياة الايمان - تيؤل - ري مرمية - تعريب : الخوري يوسف ضرغام الناشر الكسليك - لبنان 1986 - المطبعة البولسية جوبنة 1986 ، ص 76 .

(2) الأسرار السبعة / بحسب معتقد وطقس الكنيسة السريانية الارثوذكسية - المطران سويريوس زكا عيواص - الاب الريان اسحق ساكا - الطبعة الأولى 1970 - مطبعة شفيق/ بغداد - ص: 19.

(3) الأسرار السبعة - ص: 20.

ان الذي يقرأ الإنجيل يفهم أن المعمودية السر الأول بين الأسرار وهذه المرتبة جاءت وفق ماجاء به الإنجيل حيث نجد في إنجيل يوحنا القول الاتي (ان كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله) (يو 3: 5).

قال مار ايوانيس⁽¹⁾ : (ان للمعمودية المقام الأول بين الأسرار بالنسبة إلى النظام والترتيب لأنها بمثابة باب يدخل منه الإنسان إلى الحظيرة المسيحية لعبادة الله وممارسة الاعمال الصالحة)⁽²⁾ .

ويقول ابن صليبي⁽³⁾ (أنها تحوز الأولوية ايضا على معظم الأسرار الأخرى بالنسبة إلى سمو والكرامة فهي مثلا اسمى من سر الكهنوت لأن الروح القدس يحل في المعمودية اقنوميا شخصيا كما حل على السيد المسيح في نهر الأردن عند عماده اما سر الكهنوت فيحل بمفعوله اي بمواهبه. اصف إلى ذلك أن المعمودية ضرورية لكل مؤمن بالمسيح. اما الكهنوت فليس ضروريا للجميع لذلك يمنح سر المعمودية للمؤمن قبل اي سر آخر ومن لا يقبله لا يحق له الاشتراك في باقي الأسرار)⁽⁴⁾.

المطلب الثاني : تأسيس سر المعمودية وشروطها وأنواعها وصورتها والخادم

للحديث عن تأسيس سر المعمودية لابد في البداية أن نتحدث عن الذي أسس هذا السر فإذا كان بعد السيد المسيح (عليه السلام) فهو من اعمال الرسل أو من اعمال الرهبان والقساوسة والعباد اما إذا كان من قبل السيد المسيح (عليه السلام) فاذا هو من تعاليم السماء.. اي من اساس العقيدة النصرانية الحق.

وعند قرائتنا لبعض نصوص الإنجيل نجد في إنجيل متى (ادفع الي كل سلطان في السماء وعلى الأرض فإذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الأب والابن وروح القدس) (مت 28 : 18 ، 9).

ويقول الإنجيل (واسلم نفسه لاجلها لكي يقدسها مطهرا اياها بغسل الماء بالكلمة) (اف 5:25،26). و(من امن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن) (مر 16 : 16). إذن نفهم

(1) مار ايوانيس: القديس (arenee) (140/120 - 202) ولد في اسيا الصغرى . توفي شهيدا في ليون . اسقف ليون (فرنسا) من اباء الكنيسة .

(2) الأسرار السبعة / ص: 22.

(3) ابن صليبي: (ديونيزيوس بار -) اسقف مرعش ونج وامد السرياني اليعقوبي . توفي 1171 . له مولفات عديدة بالسريانية والعربية في اللاهوت والادب والتاريخ منها (الرسالة في العناية

(4) الأسرار السبعة ص: 23.

من هذا القول أن السيد المسيح (عليه السلام) يوجه أمرا إلى تلاميذه بان يذهبوا ويعلموا الامم تعاليم الدين ويعمدوهم، وهنا الوقفة إذن التعميد من تأسيس السيد المسيح (عليه السلام).

اما إذا قلنا كيف يكون هو المؤسس لهذا السر من الأسرار وقد تعمد هو ايضا وهناك من عمده في نهر الاردن إذ أن القصة مشهورة أن يوحنا المعمدان هو سيدنا يحيى (عليه السلام) عمد السيد المسيح (عليه السلام) في نهر الاردن.

(حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الاردن إلى يوحنا ليعتمد منه ولكن يوحنا منعه قائلا انا محتاج أن اعتمد منك وأنت تأتي الي. فاجاب يسوع وقال له اسمع الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر حينئذ سمع له. فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء. وإذا السماوات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل حمامة واتيا عليه وصوت من السماوات قائلا هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت) (مت 3: 13-17).

وللوقوف على حقيقة الموضوع : (لم يخترع يسوع طقس العماد، بالعكس هو ايضا انحنى امامه، وكذلك تلاميذه، أي انهم قبلوه من تقليد سبقهم، و(المعمدان) صفة لم ترتبط بيسوع ولكن بيوحنا، ففي ذلك الزمان كانت طقوس الماء كثيرة في اليهودية غايتها كلها استعادة الطهارة الأولى القانونية. وأحد هذه الطقوس المجلب للانتباه هو طقس تعميد الدخلاء، أي انهم كانوا يعمدون الوثنيين الراغبين في التهود. وهذا الدمج كان يحدث عن طريق الختان والتعميد. ويعتقد أن طقس التعميد هذا اقدم حتى من يوحنا المعمدان. لكنه لم يكن يعني بالنسبة للدخيل اكثر من تطهيره من دنس الوثنية. في كل الاحوال أن اصول العماد هي بالتأكيد من الجماعات المعمدانية ويعتبر يوحنا اهم من برز فيها.)⁽¹⁾

ولاشك في أن الإنسان يخطئ كبيرا كان ام صغيرا والكل بحاجة إلى تطهير من هذه الخطايا ليحفظوا برضى السر، والمعمودية في النصرانية هي الطريق الامثل المؤدي إلى ذلك. وهنا ناتي إلى فاصلة جديدة وهي أن الإنسان عندما يتعمد وهو كبير فلكونه قد أخطأ ولكن تعميد الصغار له حديث اخر ومن المعلوم أن التعميد كان للكبار فقط وفضل سن له هو سن الثلاثين هذا ما اثبتته ابن صليبي بقوله (جرت العادة في الكنيسة قديما أن يعتمد المؤمنون في سن الثلاثين من عمرهم باعتباره سنا كاملا غير أن هذه العادة مالبثت أن تغيرت ولعدة اسباب منها أن أكثر الناس يموتون بدون عماد، أو لأن كثير من الناس ينشغلون بالشهوات وسيرهم وراء أهوائهم الدنيئة ويستخفون بالعماد ويتركون لذلك أمر الرسل والقديسين تعميد الناس منذ صغرهم حيث قال بطرس الرسول) (اع 2 : 39). ((لكم ولأولادكم)) وهذه بطبيعته الحال تصریح بقبول تعميد الأطفال منذ سن مبكر كي يحفظوا بهذا السر ويتخلصوا من الخطيئة التي تعتمدها الكنيسة

(1) العماد المسيحي ص: 38.

إذ أن الناس في نظر الكنيسة جميعهم مشتركون في الخطيئة الاصلية كبارا وصغارا بدون استثناء وكلهم بحاجة إلى هذا التعميد ليتطهروا ويكون هذا التعميد طريقهم إلى النجاة والخلص (1).

نفهم من هذا الطرح كله أن الكنيسة اقرت تعميد الاطفال منذ القرون الأولى وذلك للأسباب التي ذكرناها انفا والصحيح أن التقليد الرسولي نص وجوب تعميد الاطفال والكبار (كما اثبت ذلك القديسان ايرثاوس وتبريانس ومعهما اوريغان وأن الكنيسة تسلمت تعليم عماد الاطفال من الرسل الاطهار الذين اتبعوا هذه القاعدة) (2).

(كان الأولاد الذين يموتون من دون عماد ضحايا بريئة لبعض اللاهوتيين القساة من المؤسف أن تكون أراؤهم اضرمت نار الخوف اكثر مما سببت السلام الذي يتكلم عليه الكتاب المقدس.

إذن أوجبت الكنيسة عماد الاطفال لأن سر المعمودية ضروري لخلص الجميع دون استثناء بدليل قول الإنجيل (إذهبوا و تلمذوا جميع الأمم وعمدوهم) (مت 28: 19). ولقد تميز الاطفال بكرامة خاصة في العهدين القديم والجديد. (فكانت كلمة الرب الي قائلا قبلما صورتك في البطن عرفتك وقبلما خرجت من الرحم قدستك جعلتك نبيا للشعوب) (1 ر 5: 1).

ونفهم من قول الإنجيل أن السيد المسيح (عليه السلام) كان يحب الاطفال كثيرا وباركهم والدليل (قال الحق اقول لكم أن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلم تدخلوا ملكوت السماوات) (مت 3: 18).

ومن موضوع الختان نجد ايضا النصوص التي تؤكد أن الختان في العهد القديم كانت مفروضة على الاطفال في اليوم الثامن (يختن منكم كل ذكر فتختنون في لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بيني وبينكم. ابن ثمانية أيام يختن كل ذكر في اجيالكم) (تك 11: 17).

وقد تحدثت الكتب والمؤلفات عن الاهتمام بالصغار من اجل أن لاتفوتهم فرصة التقديس هل عندك طفل فلا يأخذن فيه الشر فرصة ليقس وهو رضيع وليكرس للروح منذ نعومة اظفاره (3).

(1) الأسرار السبعة. ص: 30.

(2) الدرر النفيسة في تاريخ الكنيسة للمثلث الرحمة البطريرك افرام برصوم (1957) ص: 402.

(3) الأسرار حياة الايمان ص: 79.

شروط المعمودية :

(لكل سر من الأسرار شروط وفي سر المعمودية ثلاثة شروط هي :

(1) المادة.

(2) الصورة.

(3) الخادم.

فالماء هو مادة السر ، وعبارة يعمد هي الصورة للسر ، والكاهن هو الخادم للسر ، وللخوض

في شرح هذه الشروط الثلاثة :

أولا : المادة:

هي العلامة الحسية المنظورة التي تستعمل في السر فكما أن الماء يزيل أوساخ الجسد كذلك يشير ويرمز إلى النعمة الروحية الغير المنظورة التي ينالها الإنسان بغفران الخطيئة الابوية بالولادة الجديدة.

ثانيا : الصورة:

وهي العبارات المقدسة المعينة التي يلفظها خدام السر استدعاء للروح القدس في اثناء ممارسة السر لتقديسه، وقد اشار الرسول بولس إلى الصورة بقوله:
(لأن كل خليفة الله جيدة ولا يرفض شيء إذا اخذ مع الشكر لأنه يقدر بكلمة الله والصلاة)(1:4:5).

ثالثا :الخادم:

لقد منح السيد المسيح سلطان مباشرة الأسرار للبشر لا للملائكة، ولجنس الرجال فقط وحصره في فئة خصوصية بالكنيسة هم رسل الاثنا عشر والاثنا وسبعون مبشرا وخلفاؤهم. ويحدثنا عن ذلك الرسول بولس إذ يخص هذا السلطان باصحاب الدرجات الكنيسة بقوله (فوضع الله اناسا في الكنيسة أولا رسلا ثانيا انبياء ثالثا معلمين ثم قوات وبعد ذلك مواهب شفاء فاعانات وتدابير وأنواع السنة آلعَلَّ الجميع انبياء آلعَلَّ الجميع معلمون)(1 كو 12 - 28 - 30) ... (1).

(1) الأسرار السبعة ص:24.

انواع المعمودية :

(كما تقدم أن المعمودية هي ازالة الأوساخ عن الجسد بالماء وهي في نفس الوقت تهذيب للروح بغفران الخطيئة وقد قسم القديسيون والرهبان ومن عمل على الكنيسة المعمودية إلى انواع فمنهم من جعلها نوعان ومنهم من جعلها اكثر من ذلك فقد ذهب اللاهوتيون إلى أن المعمودية نوعان :

(1) معمودية يوحنا المعمدان للتوبة.

(2) معمودية التبني التي اسسها يسوع.

وقد قسم بعض القديسين المعمودية إلى اكثر من نوع اهمها:

1. معمودية الطوفان: التي بها تطهر الأرض من الخطيئة كقول القديس بطرس الرسول (كانت اناة الله تنتظر مرة في أيام نوح إذ كان الفلك يبني الذي فيه خلص قليلون اي ثمانى انفس بالماء الذي مثاله يخلصنا نحن الآن اي المعمودية لازالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح)(1 بط 3 : 21).

2. معمودية البحر والسحابة: كقول بولس الرسول (فأنى لست اريد أيها الاخوة أن تجهلوا أن آبائنا جميعهم كانوا تحت السحابة وجميعهم اجتازوا في البحر وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر)(1 كو 10: 2و1).

3. معمودية الناموس: (وتسمى (التطهير) وهى التي كان يمارسها الاسرائيليون في عباداتهم اليومية فقد أمر الكهنة عند دخولهم خيمة الاجتماع أن يغتسلوا في المرحضة المقدسة التي بين خيمة الاجتماع والمذبح)(حز 18:30). (ولم يعط الرب الكهنوت لهارون الا بعد أن غسل جسده أولاً بالماء) (حز 4:29). ولم يكونوا ياكلون مالم يغتسلوا أولاً.

4. معمودية يوحنا: وهي معمودية التوبة(مر 4:1). أو معمودية الدموع التي يسكبها الخطاة عند توبتهم ولم تكن حائزة على قوة الروح القدس بل الغاية منها النهي عن الشرور والمعاصي وأن يعمل قابلوها اثمارا تليق بالتوبة وبالتالي اعدادهم لمعمودية المسيح)(أع 19: 1-7).

5. معمودية التلاميذ: وهي التي كان يكملها تلاميذ الرب في مدة حياته على الأرض ولم تكن تمتاز عن معمودية يوحنا بشيء.

6. معمودية الدم أو الاستشهاد: وقد اعتبرتها الكنيسة استنادا إلى (فكل من يعترف بي قدام الناس اعترف انا ايضا به قدام ابي الذي في السماوات)(مت 10 : 32). (ولأنه قد خرج من جنب المخلص دم وماء)(يو 19 : 34). فبالدم يعمد الشهداء المؤمنون ابان الاضطهاد. وبالماء يعمد المؤمنون زمن السلم ولذلك قال الرسول يوحنا (هذا هو الذي اتى بماء ودم يسوع المسيح، لا بالماء فقط بل بالماء والدم والروح هو الذي يشهد، لأن الروح هو الحق، فان الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الاب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم في الواحد)(1 يو 5: 6-6

(8).

هذه هي انواع المعمودية كما يحصيها اباة الكنيسة غيران معمودية الماء اي معمودية العهد الجديد تفوق جميعها سموا وكمالا إذ هي الغاية. وأن معمديات العهد القديم الطوفان (1 بط 3: 21-2). والناموس والسحابة (1 كو 10 : 1و2). كانت رموزا تشير إلى معمودية المسيح ومعمودية الدم اي الاستشهاد تقوم مقامها في حالات الضرورة القصوى). (1).
(اغتسلوا تنقوا اعزلوا شر أفعالكم من أمام عيني كفوا عن الشر.) (اش 1: 16). ايضا
(لأنه قد انفجرت في البرية مياه وأنهار في القفر، ويصير السراب اجما والمعطشة ينابيع ماء)(اش 35 : 7و6). قال زكريا النبي (في ذلك اليوم يكون ينبوع مفتوحا لببيت داود ولسكان أورشليم للخطية وللنجاسة)(زك 13 : 1). وقال حزقيال (وأرش عليكم ماء طاهرا فتطهرون من كل نجاستكم)(حز 36 : 25) (2) .

المطلب الثاني : (صور سر المعمودية والخادم)

يجب علينا أن نفهم صور سر المعمودية منفصلة عن الخادم لأن الخادم له شرحه الخاص به وللحديث عن صور سر المعمودية نعود إلى ماجاء به الإنجيل :

صور المعمودية:

(فإذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الأب والإبن والروح القدس) (مت 28:19).
وعند مناقشة هذا النص نجد عبارة (جميع الأمم) و(عمدوهم) وعبارة (باسم الأب والإبن والروح القدس) ففي العبارة الأولى (جميع الامم) صورة لل تعميد اي أن المشمولين في التعميد ليسوا فقط من امن بالمسيح (الملك) بل كل من يقع عليه التعميد من الامم السابقة والحاضرة معهم، فإذا اعتبرنا هذه الصور إحدى صور سر المعمودية فلا بد ان تكون الصورة الأخرى هي القوة المعنوية والإلهية عندما يباشر الخادم بقوله (باسم الأب والإبن والروح القدس) حيث أن أي قارئ مبتدا لتعاليم النصرانية يعلم أن هذه الأقانيم الثلاثة وحسب اعتقادهم مجتمعة معا في معنى واحد فأقنوم الأب أو أقنوم الإبن وكذلك اقنوم الروح القدس لا يعمل لوحده بل يعمل سوية ففي كثير من المؤلفات لمعتقدات النصارى نجد مفهوم أن الاب ارسل إبنه ليموت من اجل البشر، والإبن رسم هذا السر بموته، والروح القدس يقدس النفوس من ادناس الخطيئة ويطهرها من ذلك. إذن الصورة الأخرى لسر المعمودية هي (باسم الأب والإبن والروح القدس) والتي تعتبر الجزء

(1) الأسرار السبعة - ص: 24.

(2) المصدر نفسه - ص: 25

الروحي لهذا السر وبدونه يكون العمل بلا جدوى لأنه كما يعلم الجميع أن المسائل الدينية تبنى على عقائد روحية وإحاسيس داخلية تتبع مع الإيمان بذلك الشيء أما ما جاء في سفر اعمال الرسل قوله:

(ليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس)(أ. ع: 2 : 38). نلاحظ هنا في النص أن التعميد يجب أن يكون باسم المسيح وهذا يجعلنا نفرق بين هذا التعميد باسم المسيح وبين تعميد يوحنا المعمدان ولأننا قلنا فيما سلف أن اسم المسيح يعني الاقانيم الثلاثة لكونه واحداً في العقيدة النصرانية إذن سوف يكون التعميد باسم المسيح اي باسم الثالوث (باسم الأب والإبن والروح والقدس) وفي نفس هذا المعنى قول الرسول بولس في غلاطية (لأن لحكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح)(3 : 27). ولا شك أن هذه الصورة تتألف اقوال السيد المسيح (ﷺ) لأن إذا يريد أن يأمرهم بمثل هذا فهو لا شك يأمرهم بالإيمان لما جاء به وليس بالصورة التي رسمها الرسول بولس كما جاء في قوله السابق، بل المؤمنون يعتمدون بإيمان المسيح وليس خلاف ذلك.

خادم المعمودية:

(من أعمال الرسل يظهر أن الشماسة المبشرين في أوائل الكنيسة كانوا يمنحون سر المعمودية عند الحاجة الماسة إذا لم يتوفر وجود كاهن يقوم بهذا الواجب. وقد اجازت القوانين الكنيسة للشماسة الإنجيلي أن يعمد الطفل المشرف على الموت أن لم يوجد قسيس ليعمده)⁽¹⁾. يفهم من هذا القول أن خدمة سر المعمودية ليس محصورا على الكهنة والقسيسين والأساقفة بل يحق للشماس عند الحاجة الماسة أن يقوم بدور الخادم لسر المعمودية من اجل الحفاظ على قدسية هذا السر ولكي لا يحرم من يحتاجه وخصوصا في غياب الأسقف أو القس فعلى الشماس القيام بدور الخادم لهذا السر سر المعمودية.

المطلب الثالث : موقف الاسلام من سر المعمودية

في بداية الحديث عن السر وعن جميع الأسرار السبعة لابد لنا من الوقوف على موقف الإسلام من معنى السر وكيفية التعامل معه فهل في الإسلام عبادة لها سرية خاصة بها وهل دين الإسلام محجوب ومستور ومخصوص على قلة معينة كما في اليهودية أو النصرانية. فكلمة السر توحى للوهلة الأولى أن هناك أشياء لا يحق لجميع الناس التعرف عليها أو التعامل معها لأن الأسرار تكون خاصة بمن لا يريد من الآخرين الإطلاع عليها.

(1) الأسرار السبعة - ص : 29 .

ومن الواضح والمعلوم أن دين الإسلام دين الحنيفية السمحة جاء كما ورد عن الرسول محمد ﷺ (إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ بِالْيَهُودِيَّةِ وَلَا بِالنَّصْرَانِيَّةِ وَلَكِنِّي بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ).⁽¹⁾ فلا أسرار ولا خفايا في تعاليم هذا الدين الحنيف بل كله وضوح كالشمس و ضحاها والقمر إذا تلاها.

وإذا ظهر لنا من يقول أن الأسرار لم تكن بمعنى السر الخفي أو التخفي في العبادة لناس عن آخرين بل هي أسرار إلهية أي أن قوة هذه العبادة من السر الإلهي المودع بها هنا يتفق الإسلام مع هذا القول لأن في الإسلام شيء كهذا أي نتفق مع من يقول أن لهذه العبادة سر رباني يقويها ويدعمها لكي يعم الخير من خلا لها وفيها كالرقية في الإسلام كلام يتلى على المريض الا أن فيه من الأسرار الربانية ما يجعل المريض بل الملدوغ بأفعى يشفى عندما يتلى عليه شيء من القرآن.

فقد روى عن ابي سعيد قال: انطلق نفر من اصحاب الرسول ﷺ في سفر سافروه حتى نزلوا على حي من احياء العرب فاستضافوهم، فابوا أن يضيفوهم، فلدغ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء، لا ينفعه شيء فقال بعضهم لو اتيتهم الرهط أن سيدنا لدغ وسعينا له بكل شيء لاينفعه فهل عند أحد منكم شيء فقال بعضهم اني والله لاتي ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا فما انا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطيع من الغنم فانطلق ليتقل عليه ويقرأ الحمد لله رب العالمين فكانما نشط من عقال فانطلق يمشي وما به قلبه.⁽²⁾ قال فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه فقال بعضهم اقتسموا فقال الذي رقى لاتقلوا حتى ناتي النبي ﷺ فنذكر له الذي كان منتظر الذي يأمرنا فقدموا على النبي ﷺ فذكروا له ذلك فقال (وما يدريك أنها رقية) ثم قال: قد اصبتم اقتسموا واضربوا لي معكم سهما وضحك النبي ﷺ ..⁽³⁾

هذا من حيث كلمة السر، وقد علمنا أن المعمودية في اللغة السريانية معناها الغوص أو الإغتسال وفي هذا المعنى توافق اصيل مع الإغتسال في الإسلام وكما يعلم الجميع أن الإغتسال هو الباب الأول بل هو مفتاح الباب الرئيسي للدخول إلى رحبة الإسلام بحيث أن الكافر عندما يدخل الإسلام أو المسلم عندما تنتقي عنه الطهارة بأحد موجباتها نجده لا يستطيع أن يقرأ القرآن بل ولا يستطيع حتى لمس له لأن الباري عزوجل أمر ذلك بقوله تعالى: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ^{77} فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ^{78} لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ^{79} تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ)(الواقعة/ 77

(1) مسند الامام احمد - كتاب باقي مسند الانصار - باب حديث ابي امامة - رقم الحديث 21260 - عن ابي امامة.

(2) قلبه : القلية داء ماخوذ من القلاب ياخذ البعير فيالم قلبه فيموت من يومه.

(3) صحيح البخاري - كتاب الاجارة - باب ما يعطي في الرقية على احياء العرب - رقم الحديث 2115 - عن ابي سعيد الخدري.

(80-).

فلا بد إذن من الإغتسال كي يستطيع من دخل الإسلام حديثاً أو المسلم الاعتيادي من ممارسة شعائر دينه وعبادة ربه كما يحتم عليه الشارع.

وللاغتسال أسماء وصفات وشروط وصور وكيفية وأنواع :

أما أسمائه (الغسل، التطهر، رفع الجنباء، الوضوء). وهنا لابد ان نوضح ما يتعلق بالغسل من كل جوانبه لكي نقارن بين الاسلام والمسيحية أي ما يوافق وما يخالف ويتعارض والوقوف على الاصح . (فالغسل : معناه تعميم البدن بالماء، وهو مشروع، لقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (المائدة/6). وقوله تعالى (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ إِذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ أَنْ اللَّهُ يُحِبُّ النَّوَائِبَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) (البقرة/222).

ويجب الغسل لأمر خمسة:

الأول: خروج المنى بشهوة في النوم أو اليقظة من ذكر أو انثى وهو قول عامة الفقهاء.

الثاني: التقاء الختانين.

الثالث: انقطاع الحيض والنفاس.

الرابع: الموت.

الخامس: الكافر إذا اسلم.⁽¹⁾

فرائض الغسل وسننه: من اراد أن يغتسل الاغتسال المفروض فليعلم أن الغسل يتحقق:

(النية: وهي أن يقصد ويعزم بقلبه على التطهير من الجنباء أو الحيض أو النفاس.

وإذا ما سألنا أنفسنا هل أن النية واجبة، تكون الإجابة نعم النية واجبة وشرط للثواب في كل العبادات والقربات، وتجب النية قبل البدء بالتسمية والشروع في الوضوء، كما أنها تسن عند البدء بأول مسنونات الوضوء كالسواك مثلاً أو غسل اليد للقيام من النوم ليلاً أو غسل اليدين ثلاثاً فمن أراد البدء بأحدهما قبل التسمية يسن أن ينوي الطهارة. وتكفي النية في أول الوضوء مع استحضارها حتى ينتهي الوضوء. والنية نوعان:

(1) فقه السنة-سيد سابق-دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الخامسة 1971 - ج/1 - ص: 55.

- حقيقية : وهذه واجبة من بدء الطهارة إلى نهايتها: بحيث ينوي الوضوء ولا يقطع النية حتى تتم الطهارة.

- حكمية: ويراد بها استصحاب ذكرها. من بدء الوضوء حتى تتم الطهارة وهذه سنة: وتفسيرها أن يكون مستحضر للنية في قلبه في جميع أعمال الطهارة وأقوالها لتكون أفعالها مقرونة بالنية.⁽¹⁾

(أن يعمم جسده بالماء: وتعميم الجسد يحتاج إلى قوة ملاحظة وشدة اهتمام، فإن في جسد الإنسان مواضع إذا لم يتعهدا الإنسان ويهتم بأمرار الماء عليها عن طريق ذلك أو غيره فإن الماء يتخطاها ولا يصيبها منه شيء، وبذلك يبطل الغسل وكل ما يترتب عليه، وذلك مثل ما وراء الإذنين، وما تحت الذقن، وما تحت الإبطين، وداخل الإذنين من الخارج، وداخل السرة المفتوحة وما بين اصابع القدمين فلينتبه المغتسل لذلك، وأما شعر الرأس فإن الرجل مطالب أن يعممه بالماء حتى يدخل الماء بين جميع شعره ويصل إلى جلدة رأسه فيعممها، ومثله شعر اللحية.)⁽²⁾

اما عن سنن الغسل فهناك خمسة أشياء :

(أولها: التسمية واقلها بسم الله واكملها بسم الله الرحمن الرحيم، وأن لا يقصد بها قائلها شيء من القرآن بل للذكر فقط، ويأتي بها في أوله أو في أثناءه فلا تصح بعد الفراغ منه كما تقدم في الوضوء.

وثانيهما: الوضوء كاملاً من تمضمض واستنشاق وأن يقول نويت الوضوء لسنة الغسل ويسن للغسل مضمضة واستنشاق غير اللتين في الوضوء.

وثالثهما: الدلك أي أمرار اليد إلى ما تصل من الجسد ولا يجب الاستنابة فيما لم تصل إليه اليد فيجزئه صب الماء عليه.

ورابعها: الموالاة الذي هو التتابع في الغسل بحيث لا يجف المغسول قبله مع اعتدال الطقس.

وخامسها: تقديم اليمنى على اليسرى أي تقديم جنبه الأيمن ظهرا وبطنا على جنبه الأيسر فيريق الماء على شقه الأيمن من الأمام ومن الخلف ثم على شقه الأيسر من الأمام ومن الخلف وكل ذلك بعد غسل الرأس أولاً. وقد أورد الفقهاء في مصنفاتهم سنن أخرى كستر العورة

(1) الطهارة الكاملة -عباس احمد الهيمطي -دار الاصفهاني للطباعة بجدة - الطبعة الأولى 1412 هـ - ص:46 .

(2) فقه العبادات -حسن ايوب- دار الندوة الجديدة - بيروت لبنان الطبعة السادسة 1983-ج/1-ص:24.

وأن كان بخلوة، وتثليث الغسل وتخليل الشعر والاصابع واستقبال القبلة وترك نفض البلل عن اعضاءه وترك الكلام الا لحاجة⁽¹⁾

انواع الغسل :

هناك نوعان رئيسيان في الغسل هي:

1. الفرض: وهو الذي لا تقوم سائر العبادات إلا به. ويقسم الفرض إلى أقسام.
 - أ. فرض الغسل: عند خروج المنى بشهوة في النوم أو اليقظة أو التقاء الختانين أو انقطاع الحيض أو النفاس عند المرأة.
 - ب. عند الموت.
 - ج. الكافر إذا أسلم.
2. السنن:
 - أ. غسل الجمعة - يوم اجتماع المسلمين لعبادة الله تعالى في المسجد قال النبي ﷺ اغتسلوا يوم الجمعة واغسلوا رؤوسكم، وأن لم تكونوا جنباً، واصيبوا من الطيب.⁽²⁾
 - ب. غسل العيدين - اي عيد الفطر وعيد الاضحى.
 - ج. الغسل لمن يريد الإحرام بالحج أو العمرة وللوقوف بعرفة وللوقوف بالمشعر الحرام ولرمي الجمار الثلاث (بالنسبة للحاج) ولدخول مكة ولدخول مدينة الرسول ﷺ، وإذا لم يتيسر الإغتسال فيجزيء عنه الوضوء.
 - د. الغسل لمن غسل ميتاً.
 - هـ. الغسل عند الاستسقاء.
 - و. الغسل لمن يريد صلاة خسوف القمر أو كسوف الشمس.
 - ز. الغسل لمن أفاق من الجنون أو الإغماء.
 - ح. غسل المرأة عند انتهاء عدتها.
 - ط. عند الليالي الفاضلة مثل ليلة القدر وليلة المنتصف من شعبان وليلة عرفة.
 - ي. عند الخوف ، أو الظلمة الشديدة أو الريح الشديدة.
 - ك. عند التوبة من الذنب.

(1) سبل السعادة في اصول العباداة - صالح حسن الرياشي - مكتبة النهضة - بغداد - الطبعة الأولى 1986. ص : 38.

(2) مسند الامام احمد - الكتاب مسند بني هاشم - باب مسند عبد الله بن عباس - رقم الحديث 2262 - عن عبد الله بن عباس.

ل. عند القدوم من السفر، وعند تغير رائحة البدن⁽¹⁾.

خلاصة موقف الإسلام من سر المعمودية:

نستنتج مما تقدم أن الإسلام يختلف مع سر المعمودية إختلافاً فقهيًا وعقائديًا وأما الإختلاف الفقهي يتأتى من أن سر المعمودية لا يفترض على العبد (الطهارة) الإغتسال المفروض إلا في العمر مرة واحدة سواء كان صغيراً أو كبيراً وطيلة أيام حياته يبقى يتنعم بهذا الإغتسال الذي يسقط عنه الفعل المستمر.

ومن طبيعة الإنسان أن لم تلزمه بأمر فإنه لا يتقيد بذلك الشئ وعندما نجد أن الإسلام فرض الغسل فرضاً عليه ويجب عليه أن يفعل بعد كل ممارسة أو جنابة توجب الغسل. نجده ملزماً بهذا الفرض لأنه أمر يتعلق به جميع العبادات الأخرى وكما بينا أن الإغتسال هو مفتاح الأمر كله وهو الباب الأول والرئيسي في العبادات إذ لا تقبل أية عبادة من العبد الذي لا يكون على طهارة، أما إذا ما ادعى أحد أن الإستحمام قائم لدى بني البشر بشكل يومي أو شبه يومي فهذا الطرح يزيد عليه بأن العبادة أمر توقيفي وفق التعاليم الشرعية وليس بالأمر الكيفي متى ما أراد إستحم ومتى ما عزف أحجم عنه والتعاليم السماوية كما يعلم الجميع لم تأت عن الهوى بل هي أوامر إلهية تحيط الإنسان بالعناية من كل جانب ونأتي هنا إلى طرح سؤال لماذا فرض الإسلام الإغتسال وجعله الباب الرئيسي للعبادات وما هي الفوائد المرجوة من هذا الفرض الإلهي وللإجابة عن هذه الاسئلة نجد أن الفوائد الجمّة في هذا الفرض تتمثل في:

1. من الجانب الفقهي:

(عن أبي هريرة (رضي الله عنه)) قال : قال رسول الله (ﷺ): (ان تحت كل شعرة جنابة فاغسلوا الشعر وأنقوا البشر) رواه ابو داود والترمذي وضعفاه، لأنه إذا كان تحتها جنابة فبالأولى أنها فيه ففرغ غسل الشعر على الحكم بان تحت كل شعرة جنابة⁽²⁾. ولمناقشة الموضوع من الجانب الصحي:

فعملية الغسل ما هي إلا تنظيم وتحديد للممارسات والملذات الشهوانية فعندما تحدث الجنابة عن طريق الجماع هناك أضرار جسمية تقع على الإنسان وأبسطها المضايقة النفسية حيث عندما يصل الإنسان إلى ذروة الإنتعاش والرعشة الكبرى يفرز الجسم مادة دهنية تغطي جميع البشرة مما يؤدي إلى سد المسامات التنفسية على سطح البشرة والذي يقود الإنسان إلى الإحساس بالضجر

(1) طهارتك أيها المسلم - عبد العليم عبد الرحمن السعدي - دار الانبار، طبعة أولى 1987. ص: 54.

(2) سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع ادلة الاحكام - للحافظ شهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي العسقلاني (773 - 852هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ج / 1: ص 92.

والمضايقة لأن عملية التنفس سوف تنحصر فقط عن طريق الفم والانف ودليل ذلك (قامت إحدى الباحثات الغربيات بالعمل وإجراء التجارب للوقوف على سبب هذا الضجر الذي يحدث عقب الافراز الجنسي وقد عاملت البشرة بمختلف السوائل الكيميائية من أجل التخلص من المادة الدهنية التي تسد المسامات التنفسية على سطح الجلد والبشرة إلا أنها وقفت على حقيقة علمية أن هذه المادة الدهنية لا تتزول إلا بواسطة الماء، الماء الاعتيادي النظيف مع حرارة جسم الإنسان تزول هذه المادة الدهنية مما يجعل الإنسان رجلاً أو امرأة يشعر بالراحة والانتعاش والحيوية. وعندما أعلنت هذا الاكتشاف وطرحته على تلاميذها في الجامعة، قام أحد الطلبة المسلمين من ضمن الحضور وقال لها أن هذا الاكتشاف قد سبقك به رجل قبل أربعة عشر قرناً فاستغربت واخذت بالسؤال كيف يكون ذلك فأجابها الطالب المسلم بأن دين الإسلام يوجب الغسل بعد كل عملية افراز جنسي وهذا على وجه الفرضية وقد قال رسول الإسلام محمد ﷺ قولاً يحتم أن يصيب الماء الجسد والبشرة كلها يقول ﷺ (تحت كل شعرة جنابة) وبعد هذه المناقشة الطويلة أعلنت إسلامها لأن الدين الذي تكون هذه تعاليمه لا يصدر عن بشر بل عن الخالق الواحد الأحد.

وهناك أيضاً أستاذة طبيبة في جامعة السيربون بفرنسا وهي فرنسية نصرانية كاثوليكية بدأت تتكلم عن دم الحيض وقالت إن أوربا كانت تزعم أن نزول دم الحيض على النساء يعتبر عملاً من أعمال السحر ولكن العلم إكتشف أنه دم تفرزه بعض الغدد الانثوية ثم شرعت في الكلام عن الأضرار التي تترتب على جماع الرجل بالمرأة الحائض وقالت إن الرجل إذا ما اقترب من المرأة الحائض في حالة جنسية فإن ذلك يؤدي إلى أمراض في الجهاز التناسلي وأمراض في الكليتين وأمراض جلدية وقام لها طالب مسلم سعودي وقال لها أن القرآن الكريم سبقك بأربعة عشر قرناً من الزمان فقالت له وماذا قال القرآن؟ فقرأ قال - تعالى -: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (البقرة 222)﴾.

فقالت الطبيبة الاستاذة الفرنسية أهذا في كتابكم؟ فقال لها الطالب المسلم نعم. فقالت له أريد أن أبحث الأمر مع أهل الرأي فدعاها إلى جامعة الرياض بالسعودية فالتقت بعلماء المسلمين هناك وقبل أن ينفذ المجلس العلمي قالت الطبيبة النصرانية أحضروا قلماً وورقة وأكتبوا ما سأمليه عليكم فأحضروا لها القلم والورقة فأملت قائلة أقر وأعترف وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ودخلت في الإسلام لفهمها الحقائق العلمية في القرآن⁽¹⁾.

(وأوجب الإسلام غسل جميع البدن بالماء للرجل والمرأة عقب الاتصال الجنسي أو الإحتلام، جاء في القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ (المائدة 6). والطهارة عملية نافعة

(1) أنيس المؤمنين - صفوك سعد الله المختار - مكتبة النهضة - بغداد ، الطبعة الرابعة 1987 - ص: 121.

للرجل والمرأة على السواء، فقد ثبت طبيا وعلميا أن جسم الإنسان يفقد شيئا من حيويته وقوته بعد الإتصال الجنسي وليس من شيء يعيد إليه تلك القوة والحيوية مثل أن يغسل الجسم كله ويدلكه جزءاً جزءاً بالماء النظيف⁽¹⁾.

2. من حيث الجانب العقائدي:

فهو إلترام بأمر الشارع دون الرجوع إلى قصور العقل لأن الذي أوجب هذا الأمر هو الخالق العظيم الذي أحسن كل شيء خلقه فأين العقل القاصر أمام حكمة الباري عز وجل فهو أدري وأعلم بما يفيد وما يضر بحال الإنسان الذي خلقه من تراب ثم أنشأه طوراً بعد طور ثم جيلاً بعد جيل. «الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ» (السجدة/7).

ويختلف الاسلام عقائدياً مع سر المعمودية لكونه يستخدم ألفاظ فيها إشراك بالله الواحد الأحد بقولهم (باسم الاب والابن وروح القدس)

وللرد على تأويل النصارى في هذا القول:

(تأول النصارى قول المسيح (عليه السلام)) (عمدوا الناس باسم الأب والإبن وروح القدس)، على أن الإبن صفته التي هي العلم، وروح القدس صفته التي هي الحياة، كان هذا كذباً بيناً على المسيح، ولا يوجد قط في كلامه ولا كلام غيره من الأنبياء تسمية الله، ولا شيئاً من صفاته إبناً، ولاحياته روح القدس. وايضا فهم يذكرون في الأمانة أن المسيح تجسد من مريم ومن روح القدس، وهذا يوافق ما أخبر الله به من أنه أرسل روحه الذي هو جبريل، وهو روح القدس، فنفخ في مريم فحملت المسيح، فكان المسيح متجسداً مخلوقاً من أمه من ذلك الروح، وهذا الروح ليس صفة الله، ولاحياته ولاغيرها، بل روح القدس قد جاء ذكرها كثيراً في كلام الأنبياء، ويراد بها إما الملك، وأما ما يجعله الله في قلوب أنبيائه وأوليائه من الهدى والتأييد ونحو ذلك كما قال - تعالى -: «أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ» (سورة المجادلة/22). قال - تعالى -: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نُّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» (سورة الشورى/52). قال - تعالى -: «يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ» (سورة النحل/2). قال - تعالى -: «رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ» (سورة غافر/15). فسمى الملك روحاً وسمى ماينزل به الملك روحاً وهما متلازمان، والمسيح (عليه السلام) مؤيد بهذا وهذا. ولهذا قال كثير من المفسرين: إنه

(1) روح الدين الإسلامي - عفيف عبدالفتاح طيارة - دار العلم للملايين - الطبعة العاشرة - بيروت لبنان/1973 - ص 432.

جبريل، وقال بعضهم إنه الوحي. وهذا كلفظ الناموس يراد به صاحب سر الخير كما يراد بالباسوس صاحب سر الشر فيكون الناموس جبريل، ويراد به الكتاب الذي نزل به وما فيه من الأمر والنهي والشرع، ولما قال ورقة بن نوفل للنبي ﷺ: هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى، فسر الناموس بهذا وهذا وهما متلازمان.

(المنازعة بيننا وبين أهل التثليث لا تتحقق مالم يقولوا أن التثليث والتوحيد كليهما حقيقيان وأن قالوا التثليث حقيقي والتوحيد اعتباري فلا نزاع بيننا وبينهم لكنهم يقولون أن كلا منهما حقيقي كما هو مصرح به في كتب علماء بروتستانت قال صاحب ميزان الحق في الباب الأول من كتابه المسمى بجل الاشكال هكذا - أن المسيحيين يحملون التوحيد والتثليث كليهما على المعنى الحقيقي⁽¹⁾).

(وفي موضوع قول المسيح ﷺ) لتلاميذه (عمدوا الناس باسم الأب والإبن وروح القدس) قال الحاكي عنهم: فقلت: انهم ينكرون علينا في قولنا: أب، وإبن، وروح قدس، وأيضا في قولنا إنهم ثلاث اقانيم، وأيضا في قولنا: أن المسيح رب وإله وخالق، وأيضا يطلبون منا ايضاح تجسد تجسيم كلمة الله الخالق بإنسان مخلوق، أجابوا قائلين: لو علموا قولنا هذا إنما نريد به القول الذي يعنى أن الله شيء حي ناطق لما أنكروا علينا ذلك لأننا معشر النصارى لما رأينا حدوث الأشياء علمنا أن شيئا غيرها أحدثها إذ لا يمكن حدوثها من ذواتها لما فيه من التضاد والتقلب فقلنا:

إنه شيء لا كالأشياء المخلوقة إذ هو الخالق لكل شيء، وذلك لننفى عنه العدم، ورأينا الأشياء المخلوقة تنقسم قسمين: شى حي وشى غير حي، فوصفناه بأجملهما، فقلنا: هو شيء حي لننفى الموت عنه، ورأينا الحي ينقسم قسمين:

حي ناطق وحي غير ناطق، فوصفناه بأفضلهما، فقلنا: هو شيء حي ناطق، لننفى الجهل عنه والثلاثة أسماء وهي إله واحد مسمى واحد ورب واحد، خالق واحد شيء حي ناطق، أى الذات والنطق والحياة، والذات عندنا الأب الذي هو ابتداء الاثنين، والنطق الإبن الذي هو مولود منه لولادة النطق من العقل، والحياة روح القدس وهذه أسماء لم نسّم نحن بها.

والجواب من وجوه: أحدها: قولهم: أما قولنا أب، وإبن، وروح قدس، فلو علموا قولنا هذا إنما نريد به تصحيح القول بأن الله حي ناطق لما أنكروا ذلك علينا فيقال: ليس الأمر كما ادعوه فأن النصارى يقولون: أن هذا القول تلقوه عن الإنجيل، وأن في الإنجيل عن المسيح صلوات الله عليه أنه قال: (عمدوا الناس باسم الأب، والإبن، وروح القدس)، فكان أصل قولهم هو ما يذكرونه من أنه تلقى من الشرع المنزل لا أنهم أثبتوا الحياة والنطق بمعقولهم، ثم عبروا عنها

(1) اظهر الحق - رحمة الله الهندي - دار طباعة العمرة 1280 هـ ص 280.

بهذه العبارات، كما أدعوه في مناظرتهم. ولو كان الأمر كذلك لما احتاجوا إلى هذه العبارة، ولا إلى جعل الأقانيم ثلاثة، بل معلوم عندهم، وعند سائر أهل الملل أن الله موجود حي عليم، قدير متكلم لا تختص صفاته بثلاثة، ولا يعبر عن ثلاثة منها بعبارة لا تدل على ذلك، وهو لفظ: الأب والإبن، وروح القدس، فإن هذه الالفاظ لا تدل على ما فسروها به في لغة أحد الأمم ولا يوجد في كلام أحد من الانبياء أنه عبر بهذه الالفاظ عما ذكره من المعاني بل إثبات ما ادعوه من التثليث والتعبير عنه بهذه الالفاظ هو مما ابتدعوه لم يدل عليه شرع ولا عقل⁽¹⁾.

ثم تاتي خاتمة إنجيل متى التي يشك فيها العلماء ويعتبرونها دخيلة عليه. فهي تنسب للمسيح قوله لتلاميذه: (إذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الأب والإبن والروح القدس)(28: 19). ويرجع السبب في ذلك الشك. (كما يقول ادولف هرنك-إلى الاتي:

1. لم يرد إلا في الأطوار المتأخرة من التعاليم المسيحية ما يتكلم عن المسيح وهو يلقي مواظ ويعطى تعليمات بعد أن أقيم من الأموات وأن بولس لا يعلم شيئاً عن هذا.
2. ان صيغة التثليث هذه (التي تتكلم عن: الأب والإبن والروح القدس) غريب ذكرها على لسان المسيح، ولم يكن لها نفوذ في عصر الرسل- وهو الشيء الذي كانت تبقى جديرة به - لو أنها صدرت عن المسيح شخصياً.

وبعد لقد كان من تلاميذ المسيح الاثنى عشر جابي ضرائب يدعى متى، وإليه نسب هذا الإنجيل الذي اعتبر نسخة مطولة من إنجيل مرقس - وهذا الأخير استعان به كاتب إنجيل متى بالإضافة إلى مصادر أخرى.

ويرجح كتابة هذا الإنجيل في الفترة من 85 إلى 105 م أي بعد أكثر من 50 عاما مضت بعد رفع المسيح (عليه السلام) - ولعله قد كتب في انطاكية أو قريبا منها⁽²⁾.

(لو علم المسلمون مرادنا بالأب، والإبن، وروح القدس لما أنكروا علينا، فإن مرادنا بالأب الذات، وبالإبن النطق الذي هو القائم بتلك الذات، وروح القدس الحياة الثلاثة إله واحد وهذه الثلاثة يعتقدونها المسلمون، ونحن لم نطلق ذلك من قبل أنفسنا، بل في الانجيل قال عيسى (عليه السلام) (إذهبوا إلى سائر الأمم وعمدوهم باسم الأب والإبن وروح القدس). وفي أول القرآن بسم الله الرحمن الرحيم فاقصر على هذه الثلاث الأب والإبن وروح القدس، ونريد بقولنا: المسيح إبن مولود من الله تعالى بلا حدث قبل الدهور، وأنه لم يزل نطقاً، ولم يزل الله تعالى ناطقاً، ثم أرسل الله تعالى نطقه من غير مفارقة الأب الوالد له، كما ترسل الشمس ضوءها من غير مفارقة

(1) الجواب الصحيح ص 92-93.

(2) المسيح في مصادر العقائد خلاصة ابحاث علماء المسيحية في الغرب -المهندس احمد عبد الوهاب مكتبة وهبة القاهرة-الطبعة الأولى 1978 ص: 61 .

وأما اليهود والنصارى: فهم على طرفي نقيض. هؤلاء ينحرفون إلى جهة، وهؤلاء إلى الجهة التي تقابلها في النسخ، وكذلك تقابلهم في التحريم، والتحليل، والطهارة، والنجاسة.

فإن اليهود حرمت عليهم الطيبات وهم يبالغون في اجتناب النجاسات حتى أن الحائض لا يؤاكلونها، ولا يشاربونها، ولا يجامعونها، وكانوا لا يرون إزالة النجاسة من الثوب بل يقرض موضعها، ويستخرجون الدم من العروق إلى غير ذلك من الإصرار، والأغلال التي كانت عليهم.

وأما النصارى: ففي مقابلتهم تجد عامتهم لا يرون شيئا حراما، ولا نجسا إلا ماكرهه الإنسان بطبعه. ويصلون مع الجنابة، والحدث، وحمل النجاسات ويأكلون الخبائث كالدم، والميتة، ولحم الخنزير، إلا من كره منهم شيئا فتركه، والمسلمون وسط كما قال - تعالى -: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة/143). أي عدلا خيارا، كما قال - تعالى -: ﴿وَاكْتُبْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ قَالٌ عَذَابِي أَصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ^{156} الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الاعراف/156-157). ولهذا كان من إنحرف من المسلمين إلى شبه اليهود والنصارى، مأمورا بترك ذلك الانحراف، واتباع الصراط

المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقا، وذلك مثل من بالغ في اجتناب النجاسات فينجس مالم ينجسه الله ورسوله، ويحرم مالم يحرمه الله ورسوله، ويأخذه الوسواس في اجتناب النجاسات، ويحرم الطيبات التي أحلها الله للمسلمين، مثل: من يرى أن القياس أن النجاسة لاتزول الا بالماء ولاغيره. أو يرى أنها وأن زالت فلم يبق لها أثر فالمحل نجس إذا لم تنزل بما يشترطه هو من الماء أو غيره. أو يرى أن الطيبات التي أحلها الله حرام خبيثة لأنها مستحيلة عن المحرم مع أن الخل حلال، وأن كان قد كان خمرًا باتفاق المسلمين إذا بدأ إلى حالته. أو يرى أن الماء الطيب، والمائعات الطيبة التي ليس فيها أثر من الخبيث حرام لكون الخبيث لاقاها استهلك فيها مع أنها من الطيبات لا من الخبائث. أو يرى تحريم ما سوى موضع الدم الذي هو أذى إلى غير ذلك من أقوال قالها بعض العلماء، ولكن غيرهم نازعهم في ذلك واتبع ما دل عليه الكتاب والسنة.. وأما ما يفعله كثير من الناس من غير أن يقوله عالم مثل من يغسل يديه، وثيابه، وحصر بيته بتوهم نجاستها، أو يأمر الحائض إذا طهرت أن تبدل ثيابها أولى أو تغسلها، أو يمنع الجنب أن يأكل أو يشرب حتى يغتسل، فهذا كثير فيمن يشبه اليهود بل يشبه سامرة اليهود. وأما من يشبه النصارى: فمثل من يحسن الظن بمن لا يتطهر، ولا يصلى من المنسوبين إلى الفقر والزهد والعبادة، مثل من يكون في مواضع الشياطين والنجاسات. كالحمام، وهو ملوث بالبول والعذرة ويعاشر الكلاب ولايتوضأ ولايغتسل من الجنابة بل ولا يصلى ويصلى بلا وضوء، وقد علم بالإضطرار من دين الإسلام أن الصلوات الخمس فرض على كل واحد، وأن الوضوء من الحدث، والإغتسال من الجنابة فرض ولايصلى إلا به مع القدرة، وأن لايتيمم مع القدرة وكذلك المسلمون وأهل السنة في التوحيد. فأن اليهود شبهوا الخالق بال مخلوق فيما يختص بالمخلوق، وهو صفات النقص الذي يجب تنزيه الرب عنها. والنصارى شبهوا المخلوق فيما يختص بالخالق، وهو صفات الكمال التي لا يستحقها الا الله تبارك وتعالى , قال ابن عباس(*) ومجاهد(*) وغيرهما:

وكذلك تعظيمهم للصلب، واستحلالهم لحم الخنزير، وتعبدهم بالرهبانية، وامتناعهم من الختان، وتركهم طهارة الحدث والخبيث، فلا يوجبون غسل جنابة ولا وضوء، ولايوجبون اجتناب شيء من الخبائث في صلاتهم لاعذرة ولا بولا ولاغير ذلك من الخبائث إلى غير ذلك، كلها شرائع أحدثوها وابتدعوها بعد المسيح (ﷺ)، وذان بها أئمتهم وجمهورهم، ولعنوا من خالفهم فيها، حتى صار المتمسك فيهم بدين المسيح المحض مغلوبا مقموعا قبل أن يبعث الله محمدا (ﷺ)، وأكثر ما هم عليه من الشرائع والدين لا يوجد منصوصا عن المسيح (ﷺ). وأما المسلمون: فكل ما أجمعوا عليه إجماعا ظاهرا يعرفه العامة والخاصة فهو منقول عن نبيهم صلى الله عليه وسلم، لم يحدث ذلك أحد بعده لاجتهاده ولاغير اجتهاده، بل ما قطعنا بإجماع أمة محمد (ﷺ)، فإنه يوجد مأخوذا عن نبيهم.والمقصود هنا: أن ما أجمعت عليه الأمة إجماعا ظاهرا تعرفه العامة

والخاصة، فهو منقول عن نبيهم ﷺ، وأما كثير من طوائف الأمة، ففيهم بدع مخالفة للرسول، وبعضها من جنس بدع اليهود والنصارى، وفيهم فجور ومعاصي، لكن رسول الله ﷺ برىء من ذلك، كما قال - تعالى - : ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (الشعراء/216).

وقال نبينا ﷺ: (من رغب عن سنتي فليس مني) (1). (2) وبما أن المعمودية هي موضوع التطهر فنأخذ جانباً آخر للتطهر ألا وهو موضوع الختان:

(قال ﷺ): ((الفطرة خمس: الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الأظافر ونتف (الابط)). (3) أن الختان سنة مؤكدة للذكور من الفوائد لهذه العملية كالوقاية من السرطان وتضييق القلفة والتهاب الحشفة وغيرها.. كما يظهر في هذا الحديث التأكيد على تقليم الأظافر وليس بالمجهول ما لذلك من فائدة في الوقاية من العديد من الأمراض. والختان يتم بفصل القلفة حتى لا تكون حاضنة لتجمع الأوساخ ونمو المايكروبات. حكمه عند المسلمين أنه سنة مؤكدة كما في الحديث. فلو علمنا أن أكثر من 75% من أطفال أمريكا يختنون بعد الولادة. واليهود والمسلمين يشكلون أقل من هذه النسبة في أمريكا، إذا فنصارى أمريكا يختنون. إذا لماذا هذا؟ ونحن نعلم بان النصارى لا يختنون وأن أوربا كانت تعادي الختان!!).

كتب البروفسور t . e . wiswell وهو رئيس قسم أمراض الوليد في المستشفى العسكري في واشنطن مقالا في مجلة جاء فيه: (لقد كنت في عام 1975 من أشد أعداء الختان، وقد شاركت في الجهود التي بذلت حينئذ للإقلال من نسبة الختان إلا أنه في بداية الثمانينات أظهرت الدراسات العلمية ازديادا في نسبة التهابات المجاري البولية عند الأطفال غير المختونين ومع ذلك لم أكن أقترح جعل الختان روتينيا ولكن وبعد تمحيص دقيق وإجراء دراسة موضوعية نتيجة مخالفة وأصبحت مناصرا لجعل الختان يجري روتينيا على كل طفل.. فسبحان الله لقد عادت الفطرة البشرية لتثبت نفسها من جديد أنها الفطرة التي لا تتغير على مر العصور. والسؤال الذي يطرح نفسه الآن مالذي جعل هذا العالم وأمثاله يغيرون من نظرتهم للختان؟

والجواب الذي لاشك فيه هو كثرة الفوائد الصحية للختان والتي تشمل:

1. الوقاية من التهاب الجهاز البولي ومضاعفاته: بينت إحدى الدراسات أنه لو لم يجر الختان في أمريكا فإنه ستكون هناك 20000 حالة من التهاب الكلية والمجاري البولية سنويا وأظهرت دراسة أخرى أن 95% من الأطفال الذين أصيبوا بالتهابات المجاري البولية كانوا غير مختونين كما اكدت دراسة أمريكية حديثة في شهر ايلول 1997 على أن عدم الختان عامل خطر جدا

(1) سنن الدارمي - كتاب النكاح - باب النهي عن التبتل - رقم الحديث 2075 - عن عثمان بن مظعون.

(2) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - شيخ الإسلام ابن تيمية (661-728) مطبعة المدني - المؤسسة السعودية بمصر - القاهرة 1959. ص: 126-129.

(3) صحيح البخاري - كتاب اللباس - باب قص الشارب - رقم الحديث 5439 - عن ابي هريرة .

في زيادة التهابات المجاري البولية.

2. الوقاية من سرطان القضيب أحدى الدراسات أجريت على 1600 حالة منذ عام 1932-1990 لم يكن هنالك واحد من هؤلاء المصابين بسرطان القضيب مختونا في سن الطفولة! علما أن الختان يقلل كذلك من الأورام الحميدة فضلا عن السرطانية بانواعها.
 3. الختان وسرطان عنق الرحم: حيث أن الختان يكبح ما يسمى بعامل الذكر في حالة سرطان عنق الرحم عند الزوجة.
 4. قلة حدوث مشاكل القضيب عند الاطفال المختونين كالتهاب الحشفة balanitis وتضيق القلفة phimosis.
 5. الوقاية من الأمراض الجنسية وأنخفاض نسبة الإصابة بالايذز والزهرى عند المختونين حيث أن القلفة نفسها كثيرا ماتتعرض أثناء الجماع للتسلخ والجروح ثم تصبح عرضة للالتهاب. وكذلك لعدم ثبوت النظرية القائلة بأن النظافة بالاعضاء الجنسية تكفي وحدها للوقاية من حدوث هذه الأمراض عند غير المختونين.
 6. فوائد اقتصادية : نسبة الاختلاطات الناجمة عن الختان نسبة ضئيلة جدا وقلة كلفة عملية الختان عند إجرائها في سن مبكرة عنها في سن متاخرة علما أن الأمراض عدم الختان تكلف من العبء الاقتصادي اضعاف ما تكلفه عملية الختان والمضاعفات التي قد تحصل العلم بين آيات القرآن نتيجة CIRCUMCISION.
- هذه العوامل جميعا كانت سببا في جعل الجمعية الطبية في ولاية كاليفورنيا الأمريكية أن تصوت بالاجماع في 8/3/1988 على أن الختان وسيلة صحية فعالة. ويقول العالم ويزويل: لقد تراجعت تماما عن عدائي الطويل للختان وصفت مرحبا بقرلار الجمعية . والحمد لله ..)

الخاتمة

بعد هذه الرحلة التي لا تخلوا من متعة طلب الكريم وتفسيرها. والمصادر الأخرى التي أوصلتني إلى النقاط الأتية:

1. أن الله هو الواحد الأزلى لاشريك له بأي حال من الاحوال ولاتركه الابصار، قال تعالى (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (الانعام 103).
2. القرآن الكريم هو الكتاب الصحيح الذي نأخذ ما يتفق معه من النصوص الدينية الأخرى وما يتعارض معه نرفضه. لأنه الكتاب الوحيد الذي لم يطرأ عليه زيادة أو نقصان أو تحريف أو تزيف كما هي حال الكتب الأخرى.
3. أن نصوص الأناجيل تتباين في أكثر من موضع وموضوع ولاسيما ما يخص الألوهية والعقيدة وبعض الحقائق والأهم مسألة (الأب والإبن وروح القدس) حيث أنهم يتباينون، بالاعتقاد منهم من جعل سيدنا عيسى (عليه السلام) الإله ومنهم من جعله إبن الإله ومنهم من جعله ثالث ثلاثة ومنهم من أنصفه وجعله نبيا ورسولا وهكذا تتفاوت الاعتقادات فيما بينهم.

4. ومسألة أخرى هي تعطيل العقل من قبل المسيحيين، لقد سارت الكنيسة على هذا المنهج ونكلت بالعلماء والمفكرين والمبدعين الذين خالفوهم بالآراء والمعتقدات ففي بدء النهضة الأوروبية ثار بعض الرهبان الذين وجدوا الكنيسة مجانبة للحق والصواب وبعد أن ثاروا قامت الكنيسة بحرق بعضهم واعدمو آخرين وهكذا لانجد للعقل أي احترام لدى المسيحيين.

5. أن دين الإسلام يتعارض مع سر المعمودية وهذا التعارض يتأتى من صيغة الاشرار ويتوجون الكلام بقولهم (باسم الأب والابن وروح القدس) وهذا بنظر الإسلام شرك مرفوض لايقبل به إذن وجه الاختلاف هو الشرك بالله الواحد الأحد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً. وأن المعمودية تعتبر بدلا عن الإغتسال إلا أن هذا الغسل في النصرانية يكون مرة واحدة في العمر في حين يتوجب على المسلم الغسل كلما وضعت عليه جنابة أو حدث أو ما يوجب الغسل من أمور أخرى.

وهذه ابیات من قصيدة لامام الادباء شرف الدين البوصيري:

فأبى اقل العالمين عقولا	جاء المسيح من الاله رسولا
من جهلهم لله فيه حلولا	قوماً راوا بشراً كريماً فادعوا
بالافك والبهتان فيه القليلا	وعصابة ما صدقته واكثررت
بالحق تجريحاً ولا تعديلاً	لم يأتي فيه مفرط ومفرط
ليكذبوا التوراة والإنجيلا	فكأنما جاء المسيح اليهم
تتزيهها لالهها التتكيلا	فاعجب لامته التي قد صيرت
واظلهم راوا القبيح جميلا	وإذا اراد الله فتنة معشر

وفي ختام هذه الرسالة اساله تبارك وتعالى علوا كبيرا " أن يجعلنا من اهل الصواب فان كان هذا الجهد صوابا فهو من فضله تبارك وتعالى وإذا ما وجد الخطأ فهو من عجزى وتقصيري ملتصا العذر والصفح والارشاد من الاساتذة والقراء الكرام.

خر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وصحبه أجمعين.

المراجع والمصادر

القرآن الكريم

1. الأجوبة الفاخرة - احمد بن إدريس المالكي المعروف بالقرافي (د.ت) - دار الكتب العامية بيروت - لبنان - الطبعة الاولى 1986 . .
2. الأسرار حياة الإيمان - تينول - ري - مرميه ، تعريب : الخوري يوسف
3. ضرغام ، الناشر الكسليك - المطبعة البوليسية - جونية - لبنان - 1986 .

4. أسرار الختان تتجلى في الطب الحديث - د. حسن شمسي باشا - مطبعة الجامعة 1991
الأسرار السبعة / حسب معتقد وطقس الكنيسة السريانية الارثوذكسية - المطران سويريوس
زكا عيواص - الاب الريان اسحق ساكا - شفيق بغداد- الطبعة الاولى / 1970.
5. الأسرار - مطرانية جبيل والبترون وما يليهما للروم الارثوذكس - منشورات مكتبة التنشئة
- جبل لبنان - برما 1980.
6. اظهر الحق - رحمة الله بن خليل العثماني الكيرانوي الهندي - دار طباعة العامرة /
1280 هـ.
7. أنيس المؤمنين - صفوك سعد الله المختار - مكتبة النهضة - بغداد الطبعة الرابعة /
1987.
8. إنجيل لوقا: الكتاب المقدس، أي كتب العهد القديم والعهد الجديد وقد ترجم من اللغات
الأصلية - دار الكتاب المقدس للشرق الأوسط.
9. انجيل متى: = =
10. انجيل مرقس: =
11. انجيل يوحنا: =
12. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - شيخ الإسلام ابن تيمية (661 - 728) مطبعة
المدني - المؤسسة السعودية بمصر القاهرة / 1959.
13. الدرر النفيسة في تاريخ الكنيسة للمثلث الرحمة البطريرك افرام برصوم / 1957
14. روح الدين الإسلامي - عفيف عبدالفتاح طيارة - دار العلم للملايين _ الطبعة العاشرة _
بيروت لبنان/ 1973 .
15. سبل السعادة في أصول العبادة - صالح حسن الرياشي - - مكتبة النهضة - بغداد -
الطبعة الأولى / 1986 .
16. سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام - محمد بن اسماعيل الامير الصنعاني
، دار ابن حزم - ط1 ، بيروت - لبنان - 2003.
17. سنن الترمذي - محمد بن عيسى الترمذي السلمي . ت(209 - 279) - المحقق أحمد
محمد شاکر وآخرون - دار احياء التراث العربي ، بيروت .
18. صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل البخاري - تقديم الشيخ احمد محمد شاکر ، تقديم
وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة دار ابن الهيثم - ط1 - القاهرة ، سنة 2004 .
19. صحيح مسلم - للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري - تحقيق محمد
فؤاد عبد الباقي ، المطبعة دار احياء التراث العربي ، ط1 ، بيروت - لبنان ،
سنة 2000 .

20. الطهارة الكاملة- عباس احمد الهبمطي - دار الاصفهاني للطباعة بجده - ط1 - 1412.
21. طهارتك أيها المسلم - عبد العليم عبد الرحمن السعدي - دار الانبار - 1987.
22. فقه السنة - سيد سابق - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الخامسة / 1971.
23. فقه العبادات0 حسن ايوب - دار الندوة الجديدة - بيروت لبنان الطبعة السادسة / 1983.
24. العماد المسيحي قي الكنيسة الأولى والفكر اللاهوتي والراعي - الأب لويس ساكو، الأب يوسف توما ، الأب يوسف عتيثا - مطبعة البغدادية / 1991.
25. اللاهوت المسيحي والأنسان المعاصر - الأب سليم بسترس - منشورات المكتبة البوليسية بيروت لبنان - ط2/ 1989 .
26. مسند أحمد - أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ، ت (164 - 241) مؤسسة قرطبة ، مصر .
27. المسيح في مصادر العقائد 0 خلاصة ابحاث علماء المسيحية في الغرب المهندس أحمد عبد الوهاب - مكتبة وهبة القاهرة - ط1 ، 1978.
28. المنجد في اللغة والادب والعلوم-لويس معلوف- الطبعة الثامنة عشر المطبعة الكاثوليكية- بيروت / 1908...